الباب الأول

حرب غزة
أسماء ودلالات

الفصل الأول

بين يدي الباب

لم تحظَ حرب من الحروب العربية الإسرائيلية بهذا القدر الكبير من الأسماء والأوصاف ـ التي أطلقها عليها الساسة والعسكريون الإسرائيليون وبعض الغربيين ـ مثلما حظيت حرب غزة.

كثرة أسماء هذه الحرب تدل دلالة واضحة على عمق تأثيرها على الكيان الصهيوني. فلقد طالت العمق الإسرائيلي، ومراكزه الحيوية، ومدنه التي كانت بمأمن من قبل من صواريخ المقاومة، أو كانت بمأمن منها أثناء الحروب العربية الإسرائيلية السابقة.

وتدل كثرة الأسماء أيضًا على مدى المأزق الوجودي الذي تحياه إسرائيل اليوم. مأزق عبر عنه عوفر شيلح بعبارة بليغة عندما وصف إسرائيل بأنها: «دولة تعيش على مخاوفها»[1]، حتى لو كان السلاح الفلسطيني الرئيسي المستخدم ضدها صواريخ بدائية، قدرتها التدميرية محدودة للغاية، ولكن تأثيرها النفسي والمعنوي كبير جدًّا.

كما تدل كثرة الأسماء على عظم المقاومة في غزة. فعلى الرغم من محدودية مساحتها، ومحدودية قدراتها المادية، وتواضع إمكانياتها العسكرية، إلا أنها ـ بما تحمله من مخزون معنوي للمقاومة والصمود، وبما تمثله من معين لا ينضب من التضحية والشهادة، وبما

(١) عوفر شيلح، حرب كما تتطلب، معاريف، ١٦/ ١/ ٢٠٠٩.

تبتكره من أشكال للمقاومة ومقارعة الاحتلال ـ تمثل خطرًا داهمًا على مستقبل ووجود دولة إسرائيل. وفي هذا درس بليغ لهذه الأمة، ودرس بليغ أيضًا للمتآمرين والمتواطئين الذين قالوا لإسرائيل قبل الحرب: «جزوا لهم رءوسهم، قاصدين بذلك قيادة حماس في غزة»[1].

وفي كثرة الأسماء أيضًا درس بليغ للاهثين وراء سراب السلام، وللذين ترهبهم قدرات العدو، وترتعد فرائصهم خوفًا من أمريكا وإسرائيل. فلا حل لقضية الصراع في فلسطين أو في غيرها من الأرض إلا بالمقاومة والتوظيف الجيد لكل عناصر القوة لدى الأمة، مهما كانت قوة الخصم، ومهما كانت قوة الأطراف الدولية التي تدعمه.

وتدل كثرة الأسماء أيضًا على ضعف الكيان الصهيوني، وعلى هشاشة بنائه، وضعف معنوياته حتى إن المقاومة بسلاحها القليل استطاعت أن تهز أركان هذا العدو، وأن تحقق معادلة الردع.

ويمكن من خلال قراءة هذه الأسماء أن نبني تصورًا كاملًا لهذه الحرب من ألفها إلى يائها. فهي:

- الرصاص المصهور، أو المصبوب، أو المتدفق، أو المسكوب.
- حرب أمن الجنوب.
- حرب إسرائيل ـ حماس.
- حرب ضد منظمات إرهابية.
- حروب اليسار: حمامة مفترسة.
- رصاص مصهور.
- رصاص متآكل.
- رصاص مشروخ.
- حملة عابثة.

(١) بن كاسبيت، الدول العربية: جزوا لحماس رءوسهم، معاريف، ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٨.

- فرصة ضائعة.
- حرب غزة الأولى.
- حرب الاستقلال لحماس.
- حرب الصواريخ الثالثة.
- حرب اللاإنبعاث.

أما فلسطينيًا، فقد سُميت هذه الحرب بـ «حرب الفرقان» تيمنًا بغزوة بدر الكبرى. كما سُميت بـ «الحرب العربية الإسرائيلية السابعة»؛ لأنه قد سبقها ست حروب هي: حرب ١٩٤٨، وحرب ١٩٥٦، وحرب ١٩٦٧، وحرب العاشر من رمضان ١٩٧٣، والغزو الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢، وحرب يوليو (تموز) على لبنان ٢٠٠٦.

ولقد أطلقت حماس على تكتيكها العسكري في حرب غزة اسم «بقعة الزيت» تهديدًا لإسرائيل باستهداف المزيد من البلدات والمدن الإسرائيلية ومراكزها الحيوية وأماكنها الحساسة بالصواريخ الفلسطينية، وتهديدًا للعدو أيضًا بمفاجآت فلسطينية تنتظره مع استمرار القتال وتطوره.

* * *

الفصل الثاني

أهداف الحرب وطبيعتها العدوانية

كانت إسرائيل تهدف من خلال حرب غزة إلى كيّ الوعي الفلسطيني، وردعه عن الاستمرار في المقاومة، ومنعه من استهداف مدن جنوب إسرائيل بالصواريخ، ومن هنا جاءت تسمية الرصاص المصهور، وحرب أمن الجنوب:

حرب الرصاص المصهور

الرصاص المصهور أو المصبوب أو المسكوب أو المتدفق هو الاسم الرسمي لهذه الحرب. اسم يكشف عن طبيعتها العدوانية، وانفلاتها من كل عقال قانوني أو أخلاقي، يقول شلومو أفنيري: «عندما تتحدث وسائل الإعلام العالمية عن حملة رصاص مصهور، فإن هذا يرتبط بطبيعة الحال بنزعة القوة، وبالوحشية، وبالعدوان، وبالقتل. وقبل أن تُطلق الرصاصة الأولى، وقبل أن ينطلق الخطاب الإعلامي الإسرائيلي الأول، تقررت صورة الحملة بمفاهيم القوة»[1].

هذا الاسم هو للتغطية أيضًا على حالة العجز والضعف الإسرائيلي، يقول عوفر شيلح: «اليوم، أسماء العمليات يختارها ضباط لبيان أننا ما نزال شجعانًا وأقوياء، برغم ما نعتقده في أنفسنا. منذ أكثر من ثلاثة عقود تحارب إسرائيل ذكرياتها ومخاوفها أكثر مما تحارب أعداءها الذين أخذوا يضعفون»[2].

---

(١) شلومو أفنيري، ماذا فكر حاسوب الجيش الإسرائيلي؟، هآرتس، ١٨/ ٣/ ٢٠٠٩.

(٢) عوفر شيلح، حرب كما تتطلب، معاريف، ١٦/ ١/ ٢٠٠٩.

و«عندما عرض أولمرت على المجلس الوزاري الأمني عملية الرصاص المصهور للنقاش والتصديق، خطب خطبة لا نظير لها، خطبة فينوجرادية[1]. يبدو أنه إلى اليوم لم يُشفع رئيس حكومة في تاريخ إسرائيل خروجه إلى عملية عسكرية بأقوال كئيبة ومتشائمة إلى هذا الحد. قال:

- سيكون سقوط الصواريخ في الجبهة الداخلية أكثر مما كان في حرب لبنان الثانية.
- سيكون الكثير جدًّا من الجنود من بين القتلى والجرحى.
- لا يمكننا أن نقول إن العملية ستنتهي في أيام.
- لا يمكن أن نضمن ألا يضربنا النظام الدولي.
- قد تُجرنا العملية إلى بقاء طويل في غزة.
- وسيُضطر مواطنون كُثر إلى أن يمكثوا وقتًا طويلًا في الملاجئ.
- سيكون إضرار لا يستهان به بالسكان في إسرائيل.
- ستقترب الصواريخ من مناطق تجمع السكان.
- ويتضرر الجهاز الاقتصادي.
- وستزيد نفقة الأمن»[2].

حرب أمن الجنوب

اعترض بعض الإسرائيليين على اسم الرصاص المصهور، يقول عاموس جلبوع: «اسم الرصاص المصهور عديم الجوهر والصورة، هو ليس مفهومًا. في حديث أجريته مع د. رءوفين إيرليخ المسئول عن مركز المعلومات والإرهاب في مركز التراث الاستخباري، طرح ثلاثة اقتراحات لأسماء أكثر مناسبة للحملة»[3].

---

(١) نسبة إلى لجنة فينوجراد التي تشكلت عقب حرب لبنان الثانية للبحث في أسباب هزيمة إسرائيل وإخفاقها في حرب ٢٠٠٦.

(٢) ناحوم برنياع وشمعون شيفر، عدنا إليك ثانية، يديعوت، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.

(٣) عاموس جلبوع، مطلوب اسم للحرب، معاريف، ٦/ ١/ ٢٠٠٩.

كان من بين هذه الأسماء «حرب أمن الجنوب». وعلل رءوفين إيرليخ ذلك بقوله: «هذا الاسم يمنح التعبير الأفضل للهدف العلني الذي وضعته دولة إسرائيل للحرب: تحسين الوضع الأمني من أساسه. إذا نجحنا في الحرب الحالية في أن نجلب فترة هدوء طويلة مثلما في الشمال، وأن نوجه ضربة قاسية للقدرة العسكرية لحماس، وأن نجعل إمكانية إعادة بناء قدراتها العسكرية في المستقبل صعبة بشكل أقصى، وتعظيم الردع الإسرائيلي في المنطقة ـ فهذا يكفينا»[1].

* * *

(١) المصدر السابق.

الفصل الثالث

الأطراف الفاعلة في الحرب

قاد الحرب ممثلو يسار الوسط الإسرائيلي، مجرمو الحرب، أدعياء السلام الكذبة: أولمرت، وباراك، وليفني. وتصدى لهم الشعب الفلسطيني بقيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس. ومن هنا سُميت الحرب بما يلي:

حرب إسرائيل ـ حماس

صاحب هذه التسمية هو المفكر الأمريكي أنتوني كوردسمان؛ إذ يقول: «مضى حتى الآن أسبوعان على حرب إسرائيل ـ حماس، التي ـ بالكاد ـ لا يمكن تسميتها بغير ذلك»[1]. فهذه هي المرة الأولى في تاريخ الحروب العربية الإسرائيلية التي يكون طرفها العربي هو حركة مقاومة تقف وحيدة محصورة في قطعة صغيرة من الأرض، يقول روبرت فيسك: «كان يتحتم على العرب تحمل مشاهدة زعمائهم وهم يتزينون أمام عدسات الكاميرات في قمة الكويت، حيث كان الزعماء والرؤساء يضحكون ويصافحون بعضهم البعض، ويحاولون التظاهر بأنهم أكثر توحدًا خلف الشعب الفلسطيني الذي ـ وبدون شك ـ تعرض لخذلان وخيانة قوية. حتى محمود عباس كان هناك، وهو الرئيس الفلسطيني الضعيف والعاجز.

(١) أنتوني كوردسمان، الحرب على غزة: انتصارات تكتيكية وهزيمة إستراتيجية، نشر بموقع مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، ٩/ ١/ ٢٠٠٩، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، فبراير (شباط)، ٢٠٠٩، العدد ٣٦٠، ص ٢١٨.

من الممكن التماس العذر لهذه الكائنات السامية. ما الذي بإمكانهم فعله يا تُرى ؟ لقد أعلن الملك السعودي عن التبرع بمبلغ ٧٥٠ ألف جنيه إسترليني لإعادة بناء غزة، و لكن كم عدد المرات التي قام بها العرب والأوروبيون برمي النقود على غزة من أجل رؤيتها ممزقة إلى أشلاء بواسطة القذائف ؟!»[١].

«حرب إسرائيل ـ حماس» تسمية تبين أيضًا مدى اختلال موازين القوى بين طرفي الصراع، ومع ذلك تفشل إسرائيل في حسم المعركة وتحقيق أهدافها منها، أو كما يقول أنتوني كوردسمان: «انتصارات تكتيكية وهزيمة إستراتيجية»[٢]. انتصرت إسرائيل تكتيكيًا بتدميرها بعض الأنفاق والمنشآت ومنازل القادة ومنصات إطلاق الصواريخ، ولكنها هُزمت إستراتيجيًا لفشلها في تحقيق أهداف الحرب.

حرب ضد منظمات إرهابية

هكذا توصف حرب غزة في الخطاب العام الإسرائيلي، يقول يورام شفايتسر خبير شئون الإرهاب والباحث في معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب: «خاضت إسرائيل خلال العامين ونصف العام الأخيرين معركتين عسكريتين ضد حزب الله في لبنان وحماس في غزة. وجرى توصيف هاتين المعركتين (الحربين) في الخطاب العام في إسرائيل وخارجها كحرب ضد منظمات إرهابية.

إن استخدام هذا الاصطلاح لا يُعتبر فقط غير دقيق ومضللًا، بل ويضفي أيضًا غموضًا على طابع الخصم والمواجهة، ويُقزِّم أبعادهما المركبة، ويخلق توقعات غير واقعية لدى الجمهور الإسرائيلي بشأن إمكانية حسم المواجهة بانتصار واضح لا يقبل التأويل.

قاتلت وحدات حماس العسكرية ضد القوات الإسرائيلية بكل ما أُوتيت من قوة. وحاولت العمل بالطريقة التقليدية لحرب العصابات، حيث شنت هجمات على نمط «اضرب واهرب»، واستخدمت نيران القنص ضد الجنود الإسرائيليين، وقصفت تجمعاتهم بواسطة قذائف الهاون، وقامت بمحاولة لاختطاف جنود في أثناء القتال إدراكًا منها للضرر

(١) روبرت فيسك، جلوس وضحك بينما الضحايا يتعفنون، الإندبندنت، ٢٠/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) أنتوني كوردسمان، مصدر سابق.

المعنوي والعملي الذي سيلحق بإسرائيل نتيجة لهذه المحاولات. كذلك كان المنطق الذي وجه إطلاق الصواريخ على المدن الإسرائيلية هو محاولة إيقاع أقصى ما يمكن من خسائر بشرية ومادية في المدن الإسرائيلية، وتشويش روتين الحياة اليومية للإسرائيليين، والمس بمعنوياتهم»[1].

حروب اليسار: حمامة مفترسة

يكشف هذا الوصف عن الطبيعة العدوانية لهذه الحرب، ليس على الفلسطينيين وحدهم، بل أيضًا على الجنود الإسرائيليين الذين يُحتمل وقوعهم في الأسر. كما يكشف عن زيف تصنيف القوى السياسية الإسرائيلية إلى صقور وحمائم، فكلهم في واقع الأمر مجرمو حرب، يقول إلياكيم هعتسني: «هل سألت وزيرة الخارجية كيف حلت بمعسكر السلام حربان بفارق سنتين، مع تنديد دولي، وفيهما كل ما درج اليسار على أن يعزوه لليمين: القوة المتطرفة، ونزعة القوة، والسحق العسكري ؟ وما الذي دفع رئيس الوزراء الذي تعب من ضرب أعدائنا أن يوجه إلى غزة «ردًّا غير متوازن»، على حد وصفه، وأن يَعدْ بالمزيد ؟

في هذه الصحيفة ٣٠/ ١/ ٢٠٠٩ اعترف طيار بأنه وصل إلى شفا رفض تنفيذ ما كُلف به بسبب المشاهد القاسية التي كنا مسئولين عنها، وبسبب استخدام مبالغ فيه للقوة.

الضعف الليبرالي هو الذي يجبرنا اليوم على أن نكون متوحشين، وأن نفضل موت الجندي المخطوف التالي.

الوعد الاعتيادي لليسار بأن من يهاجمنا بعد الانسحاب سيُضرب دون رحمة، نُفذ بكامله في غزة؛ ولكن نتائجه بشعة: هزيمة أخلاقية ودبلوماسية، وصفر إنجازات.

إن من ينقصه هامش أمني وظهره إلى الحائط محكوم أن يعيش إلى الأبد على حرابه. وعليه، فليس صدفة أن الحربين الأخيرتين، اللتين اتُهمت إسرائيل فيهما بالوحشية، قامت بإدارتها وشنّها حكومة يسارية. أيها الإنسانيون، ابحثوا لكم عن بيت أيديولوجي آخر»[2].

---

(١) يورام شفايتسر، إسرائيل ومحدودية القدرة على مواجهة نمط جديد من حرب العصابات، المشهد الإسرائيلي، ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٩.

(٢) إلياكيم هعتسني، حروب اليسار حمامة مفترسة، يديعوت، ٩/ ٢/ ٢٠٠٩.

الفصل الرابع

نتائج الحرب وسيناريوهات المستقبل

لم تحقق إسرائيل أيًّا من الأهداف التي كانت تخطط لها في حرب غزة. فصواريخ المقاومة ظلت تتساقط على المدن والبلدات الإسرائيلية بعد انتهاء الحرب، والردع الإسرائيلي ما زال بعيدًا، وإسرائيل عرضة للملاحقة الدولية لارتكابها جرائم حرب، واحتمال تجدد الحرب أمر وارد في ضوء الفشل الذي مُنيت به إسرائيل. ولذلك جاءت التسميات والأوصاف الإسرائيلية لهذه الحرب كاشفة عن هذه النتائج والاحتمالات المستقبلية كرصاص مصهور، ورصاص متآكل، ورصاص مشروخ، وحملة عابثة، وفرصة ضائعة، وحرب غزة الأولى:

رصاص متآكل

«يُعرب ضباط كبار عن خيبة أملهم من سلوك الحكومة منذ انتهاء حملة رصاص مصهور. وبزعمهم، فإن الإنجازات العسكرية آخذة في التآكل بسبب إهمال القيادة السياسية.

في الجيش الإسرائيلي، ينظرون إلى «حروب اليهود» بين أولمرت وباراك، فيما أن المفاوضات مع الفلسطينيينْ عالقة، وسكان الجنوب يعودون إلى الواقع الذي كان عشية حملة رصاص مصهور. إذا لم تتمكن القيادة السياسية من ترجمة الإنجازات العسكرية إلى

إنجازات سياسية ـ كما يقول الضباط الكبار ـ فإن هذه ستختفي تمامًا، وسنعود إلى نقطة البداية»[1].

حملة عابثة

«حملة عابثة» وصف يستمد أهميته من أهمية كاتبه شلومو جازيت الرئيس الأسبق للاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الذي يقول تحت هذا العنوان: «من اليوم الذي تحقق فيه وقف النار بدأ التدهور. كل يوم إضافي يمر منذئذ هو يوم آخر من الهدر للفرصة؛ هو يوم آخر يعيدنا إلى الأيام الصعبة قبل ٢٧ ديسمبر (كانون الأول)، وربما أبعد من ذلك؛ إذ في حينه كنا لا نزال نعلق الآمال بالمبادرة إلى خطوة عسكرية هجومية. أما اليوم، فنحن نقف في ظل هدر الفرص وفشل هذه الخطوة.

أين أخطأنا ؟ يحتمل أن يكون ممكنًا تعليق الذنب على الحملة الانتخابية. محظور على إسرائيل أن تنطلق في خطوة عسكرية كبيرة حين تكون العناصر التي تشكل الائتلاف الحكومي تتنافس فيما بينها، قُبيل يوم صندوق الاقتراع المقترب. محظور الانطلاق إلى معركة حين يكون لرئيس الوزراء، ولوزير الدفاع ولوزير ـ أو وزيرة ـ الخارجية أجندة مختلفة، في ظل المنافسة والمناكفة المتبادلة.

لم يكن ممكنًا الاكتفاء بالإثبات بأن قوات الجيش الإسرائيلي قادرة على العودة إلى الدخول إلى القطاع والسيطرة على أجزاء هامة من المنطقة. كان مطلوبًا جواب واضح على الأسئلة التالية:

- كيف نسعى إلى منع استئناف التهريب لوسائل القتال من سيناء بأنفاق فيلادلفيا؟
- كيف سنفرض على مصر تغيير سياسة «غض النظر» عما يجري ؟
- ما هو هدف نشاطاتنا في شمال القطاع: استعراض القوة، أم السيطرة على معاقل حماس؟
- كيف سنستغل الحملة لتحرير جلعاد شاليط ؟
- وأخيرًا، ما هو إطار ساعة الرمل السياسية التي تحت تصرفنا ؟»[2].

---

(١) يوسي يهوشع، مسئولون كبار في الجيش الإسرائيلي: إنجازات الحملة تختفي: رصاص متآكل، يديعوت، ١/ ٣/ ٢٠٠٩.

(٢) شلومو جازيت، حملة عابثة، معاريف، ٤/ ٣/ ٢٠٠٩.

حرب غزة الأولى

صاحب هذه التسمية هو د. رءوفين إيرليخ الذي يرى أن: «القصة مع حماس لن تنتهي أغلب الظن، في الجولة الحالية»[1]. وهذا ما استشعره الجمهور الإسرائيلي، يقول إبراهام تيروش: «انتهاء الحملة ترك الجمهور في إحساس واضح، يجد تعبيره في الاستطلاعات بأن هذه مجرد هدنة مؤقتة، والحرب التالية أكبر وأشد من سابقتها، توجد على الطريق، قريبة منا»[2].

* * *

(١) عاموس جلبوع، مطلوب اسم للحرب، معاريف، ٦/ ١/ ٢٠٠٩.

(٢) إبراهام تيروش، ليس كل شيء تعصبًا رجاليًا، معاريف، ٢٨/ ١/ ٢٠٠٩.

الفصل الخامس

حرب الاستقلال لحماس

اعتبر الكاتب الإسرائيلي «ألوف بن» حرب غزة حلقة على طريق الاستقلال الوطني الفلسطيني، فأطلق عليها حرب الاستقلال لحماس، فيقول: «إذا ما نفضنا التفاصيل عن الاقتراحات المختلفة لوقف النار، نكتشف قاسمًا مشتركًا بينها جميعًا: تخليد حكم حماس في غزة.

حملة رصاص مصهور ستكون حرب الاستقلال لحماس، التي سيكون بوسعها أن تعلن في نهايتها «تعيش غزة الحرة»، وبفرنسية ساركوزي سيُسمع هذا على نحو أفضل بكثير: فيفا لا غزة»[1](*).

نعم قد يقول البعض هو استقلال جزئي على رقعة صغيرة جدًّا من فلسطين. فغزة لا تمثل إلا ١,٣٤٪ فقط من مساحة فلسطين التاريخية. وقد يقول البعض أيضًا إنه استقلال يدعم الانقسام الفلسطيني ويصب النار عليه، أو استقلال يصب في صالح فصيل فلسطيني لا كل الشعب الفلسطيني. ولكننا نراه استقلالًا يدعم الخط الفلسطيني المقاوم باعتباره السبيل الوحيد لنيل الحقوق، ويدعم أيضًا هذا الخيار في باقي أجزاء الوطن المحتل.

---

(١) ألوف بن، القاسم المشترك بين كل المواقف الإسرائيلية الداخلية والخارجية بوقف النار التسليم بحكم حماس، هاآرتس، ٩/ ١/ ٢٠٠٩.

(*) «فيفا لا غزة» تعني «تحيا غزة» بالفرنسية.

لقد اختار الشعب الفلسطيني في انتخابات ٢٠٠٦ طريق المقاومة، يقول إسرائيل هارئيل: «مع تتويج حماس على رأس الحكم يكون الجمهور الفلسطيني قد اختار عن وعي طريق الدم والعرق والدموع، إلا أنها بالنسبة له أيضًا طريق للأمل والأحلام. فبعد الفرار من غزة، أصبح الفلسطينيون على قناعة بأن إسرائيل ـ حتى وإن راوحت في مكانها ـ ستنسحب في نهاية المطاف إلى خطوط يونيو (حزيران) ١٩٦٧. ولكن بما أنهم لا يكتفون بخطوط يونيو (حزيران) ومستعدون لمواصلة الحرب الدائمة التي لا هوادة فيها حتى تحقق لهم أحلامهم كاملة بإزالة الكيان الصهيوني وإقامة دولة فلسطينية إسلامية كما يدعو ميثاق حماس فوق كل أرض إسرائيل، فضلوا حماس»[1].

* * *

(١) إسرائيل هارئيل، لماذا انتصروا ؟، هاآرتس، ٢/ ٢/ ٢٠٠٦.

الفصل السادس

حرب غزة ومستقبل الكيان الصهيوني

حرب غزة هي حلقة على طريق النهاية للكيان الصهيوني. وفي هذا الإطار، يطرح لها كُتاب العدو اسمين يرتبطان بمستقبل إسرائيل: حرب الصواريخ الثالثة، وحرب اللاانبعاث:

حرب الصواريخ الثالثة

هذا الاسم هو أحد الأسماء الثلاثة التي اقترحها الخبير الصهيوني د. رءوفين إيرليخ، فيقول: «اسم محتمل آخر للحرب هو: حرب الصواريخ الثالثة:

- الأولى كانت في حرب الخليج عام ١٩٩١، حين أطلق عراق صدام حسين على إسرائيل نحو ٥٠ صاروخ سكود. كل واحد منها مع رأس متفجر بوزن نصف طن. «جوش دان»[١] شُل، وبعض سكانها غادر إلى الشمال والجنوب.
- حرب الصواريخ الثانية جرت في ٢٠٠٦، حين أطلق حزب الله آلاف الصواريخ، أغلبيتها الساحقة نحو شمالي الدولة. بعض السكان نزحوا نحو جنوبي الدولة.

---

(١) «جوش دان أو غوش دان هي منطقة تجمع سكاني في وسط إسرائيل. تطل المنطقة على ساحل البحر المتوسط، وتضم كامل منطقة تل أبيب وما جاورها من مدن ومناطق. وتعد أكبر منطقة تجمع سكاني في إسرائيل، بعدد سكان يزيد على ثلاثة ملايين نسمة». المصدر موسوعة ويكيبديا الحرة.

• الآن النزوح هو نحو الوسط والشمال. حجم النار وأضرارها في حرب الصواريخ الثالثة الجارية الآن أدنى بكثير من ذاك الذي كان في الحرب الثانية.

يوجد ميزتان للنوع الجديد لحروب إسرائيل: الجبهة الداخلية هي الجبهة، والضرر الأساسي من العدو هو الضرر الناجم عن الصواريخ والقاذفات الصاروخية.

من الصعب أن نتنبأ متى ستكون حرب الصواريخ الرابعة. ولكن، لا بد أن نأخذ في الحسبان بأنه فقط الاتجاه غربًا سيبقى مسار النزوح»[1]، أي خارج إسرائيل.

هذا النزوح الإسرائيلي أمام صواريخ المقاومة المحدودة الكفاءة والقدرة التدميرية يستحق أن نقف أمامه متأملين لندرك مدى هشاشة وضعف الكيان الصهيوني المسلح والمدرع من رأسه إلى أخمص قدميه، ولندرك أيضًا قيمة هذا الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني ولكل شعب عربي يتخذ المقاومة والشهادة مشروعًا له. ففي «ثلاثة وثلاثين يومًا من حرب لبنان الثانية لم ينفجر في الدولة أكثر من ثلاثين طنًّا من المتفجرات»[2]. هذه الأطنان القليلة شلت ثلث دولة إسرائيل، والكثير منهم هجروا بيوتهم إلى أماكن آمنة.

أما في حرب غزة، فما أُسقط على إسرائيل من صواريخ وقذائف للمقاومة كان أقل بكثير مما أسقطه حزب الله على إسرائيل، ولكن النتيجة أن وقع «قرابة مليون إسرائيلي في مرمى الصواريخ المنطلقة من قطاع غزة والقادرة على إصابة أهداف على مدى ٤٠ كيلومترًا داخل الأراضي الإسرائيلية. وسقطت خلال العملية أكثر من ٨٢٠ قذيفة صاروخية وقذيفة هاون في الأراضي الإسرائيلية»[3].

استعداد إسرائيلي دائم للهروب

مسار النزوح غربًا يستعد له الكثير من الإسرائيليين منذ فترة طويلة، ففي حديث ليديعوت مع أفيجيدور ليبرمان، جاء فيه: «نحن في الدقيقة التسعين، وهناك مؤشرات كثيرة على ذلك. أنا ألتقي مع سفراء شرق أوروبا وأسمعهم يتحدثون عن أن كمية

(١) عاموس جلبوع، مطلوب اسم للحرب، معاريف، ٦/ ١/ ٢٠٠٩.

(٢) ناحوم برنياع وشمعون شيفر، عدنا إليك ثانية، يديعوت، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.

(٣) وزارة الخارجية الإسرائيلية، عملية الرصاص المصبوب التي تقوم بها إسرائيل في غزة، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، ١٨/ ١/ ٢٠٠٩.

الإسرائيليين التي تطلب الجنسية الأوروبية مخيفة. ذات مرة، كان اليهود في الخارج يطلبون الجنسية الإسرائيلية، ووفروا أموالهم هنا لأيامهم السوداء. واليوم، انقلب ظهر المجن، وأصبح الإسرائيلي يرغب في الجنسية الأجنبية، ويودع أمواله في الخارج»[1].

ويقول رئيس الكنيست الحالي رءوبين ريفيلين في مقال سابق له: «ظاهرة حملة الحقائب الجدد الإسرائيليون الذين يحصلون على جواز سفر أوروبي لانحدارهم من أصول أوروبية تطرح أسئلة ومادة للتفكير حولها. يبدو أن ما يحرك الظاهرة ليس خوفًا دفينًا، وإنما شيء أكثر عمقًا وجدية من ذلك، شيء قادر على دفع عدد غير قليل من الإسرائيليين للاعتقاد بأن يومًا سيأتي ويحتاجون فيه لهذا الجواز»[2].

حرب اللاانبعاث

يعتبر الكاتب الإسرائيلي كوبي نيف حرب غزة وصفة للفناء الذاتي الإسرائيلي، وتقويض لإمكانية حدوث أي تعايش أو سلام بين إسرائيل والشعب الفلسطيني. هذا التقويض سينتهي ببقاء أحد الطرفين ورحيل الآخر؛ ولكن ليس هناك ضمان أن يكون الشعب الذي سيبقى هم الإسرائيليون أنفسهم، فيقول: «إمكانية الحل الذي سيكون فيها عيش ما مشترك للشعبين المتنازعين في ذات قطعة الأرض، لفظت في هذه الحرب أنفاسها الهزيلة على أي حال، وقضت نحبها دون أن يكون لها أي فرصة للإصلاح أو الانبعاث.

من الآن فصاعدًا، لن يعود الحال نحن وهم. من الآن فصاعدًا، إما نحن أو هم. والقوي ينتصر. وبالفعل، كثيرون في أوساطنا يفرحون هذه الأيام في أن عقيدتهم القائلة أنه من أجل وجود وخلاص شعب إسرائيل يجب طرد الفلسطينيين، نالت الآن مجدًا كهذا، وأصبحت الإمكانية الوحيدة المتبقية لنا، والتي ستصبح أيضًا ـ بسرعة في عصرنا ـ السياسة الرسمية وليس فقط العملية لإسرائيل.

غير أن تنفيذ هذه السياسة يفترض أولًا: وجود دولة من نوع معين، وثانيًا: ليس مؤكدًا فيها أن نكون فيها نحن بالذات في المدى البعيد، ذاك القوي الذي ينتصر ويطرد الشعب الآخر. هذه وصفة لفنائنا الذاتي، وإذا ما عشنا فسنرى»[3].

---

(١) سيما كدمون، بقوة القوة: مقابلة مع أفيجيدور ليبرمان زعيم حزب إسرائيل بيتنا، يديعوت، ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٦.

(٢) رءوبين ريفيلين، جوازات السفر الأوروبية تهديد خطير للوجود اليهودي، هاآرتس، ١٤/ ٤/ ٢٠٠٨.

(٣) كوبي نيف، حرب اللاإنبعاث، معاريف، ١٢/ ٢٠٠٩.